



الباب الأول سنن الأنبياء في التوبة

الفصل الأول : سنة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ في التوبة .

الفصل الثاني : سنة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ في التوبة .

الفصل الثالث : سنة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في التوبة .

الفصل الرابع : سنة يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ في التوبة .

الفصل الخامس : سنة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في التوبة .

الفصل السادس : سنة داود عَلَيْهِ السَّلَامُ في التوبة .

الفصل السابع : سنة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ في التوبة .



الفصل الأول

سنة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ فب التوبة

في البداية نلقى نظرة على قصة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم نبحت - من خلال آيات الله - عن سنة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ في التوبة، ونستخرج منها ما ينفع الأخوات - الصغار والكبار - في حياتهن، ونقرب الآيات لمواقف حياتية ملموسة، ونتعلم من سنة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ خمسة مناهج على طريق التوبة، وهي: الإحساس بالذنب والعلم به، الاعتراف بالذنب، عدم اتباع الهوى، اتخاذ الشيطان عدواً، الثبات وعدم النسيان.

نظرة على قصة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ

قال ﷺ: "إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك، والخبث والطيب، والسهل والحزن وبين ذلك" [رواه أحمد عن أبي موسى الأشعري] (١).

وقال الله للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، وقال لهم: ﴿إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ﴾ (٧١) ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ، سَاجِدِينَ﴾ (٧٢) [ص]، وقال ﷺ: "خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها" (٢).

وعلم الله تعالى آدم الأسماء كلها، وأمر الملائكة بالسجود له، فسجدوا جميعاً إلا إبليس - استكباراً منه وكفراً بنعمة الله وقدرته - وجعل الله لآدم زوجة وأسكنها معه في الجنة، فتمتعا بها، وأمرهما الله ألا يقربا شجرة فيها، إلا أن الشيطان وسوس لهما، وأقسم لهما أن يكونا من الخالدين إذا أكلا من هذه الشجرة، وكانت نيته أن يظهر ما أخفى عنهما من عورة. وقد

(1) أحمد (٤ / ٤٠٠)، وأبو داود في السنة (٤٦٩٣)، والترمذي في التفسير (٢٩٥٥)، وقال: "حسن صحيح"، وصححه الشيخ الألباني.

(2) مسلم في الجمعة (١٧/٨٥٤)، وأبو داود في الصلاة (١٠٤٦)، والترمذي في أبواب الصلاة (٤٩٠).



حذرهما رهبا من الشجرة ومن الشيطان، ومما سيلاقيه من شقاء وتعب إذا لم يطيعا رهبا.. ونسى آدم أمر ربه فغوى بغواية الشيطان.

فلما أطاعا الشيطان وأكلا من الشجرة بدت لهما سوءاتهما، وأخذتا يغطيان عوراتيهما بورق الشجر، فأحسا بالذنب، وعلمتا أنهما قد عصيا رهبا ونسيا أوامره، واعترفا بالذنب وقالوا: ربنا ظلمنا أنفسنا، وطلبا المغفرة والرحمة من الله - عز وجل.

فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه، وخرجا من الجنة، إلا أن الشيطان طلب من ربه أن ينظره إلى يوم البعث والحساب، وتوعد بنى آدم بالغواية إلا الصالحين؛ فليس له عليهم سلطان، ووعد الله - عز وجل - آدم وزوجه وذريتهما، بأنه سيأتيهم بالهدى، وأنه من اتبع هذا الهدى لا يضل ولا يشقى.

الآيات التي سننطلق منها لاتباع سنة آدم في التوبة:

قال تعالى في سورة طه: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْءَ تُهْمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه] للإحساس بالذنب.

وفي سورة الأعراف: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّكَ تَغْفِرُ لَنَا وَتَرْحَمَنَا لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف] للاعتراف بالذنب.

وفي سورة الأعراف: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [الأعراف: ٢٤].

وفي سورة الأعراف: ﴿وَنَادَيْتُمَا رِبُّهُمَا آتُوا أَنَّهُمَا عَنِ تِلْكَمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف] لاتخاذ الشيطان عدواً.

وفي سورة البقرة: ﴿قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة] لاتباع هدى الله.

وقال تعالى في سورة طه: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا لِآدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسَى وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه] لعدم النسيان.

منهج التوبة

الإحساس بالذنب والعلم به :

لقد أحس آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وزوجه بالذنب بعدما بدت لهما سوءاتهما، فأحسا أنهما عصيا ربهما. فكما جعل الله لنا الألم إنذارًا لوجود مرضٍ، فيلجأ الإنسان إلى الطبيب لوصف الدواء، فإن بعض المصائب والهموم والأحزان، وحالة الإنسان من فقر أو غنى ونجاح أو فشل، ربما تكون إنذارًا لمعصية، فهنا واجب علينا الإحساس بالذنب، واللجوء إلى الله بالتوبة والاستغفار، وكلما كان سريعًا كلما كان الشفاء بإذن الله مرجوًا. وأخبرنا الرسول محمد ﷺ أن كل أمر المؤمن خير له، وتعجب لذلك؛ فإذا أصابه سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له (١)، ولناخذ أمثلة مما يقع فيه البنات مع أنفسهن ومع الله ومع الناس من معصية.

مع النفس: «كثيرة الظن بالناس، متوترة، سريعة الاستشارة، لا أثق بنفسى، أكره فعل الخيرات».

مع الله: «أؤدى الصلاة كعمل روتينى بلا خشوع، لا يستجاب لى دعاء، ولا أحصل على درجات عالية رغم مجهودى ودعائى، لا أعطف أو أتصدق على اليتيم أو الضعيف».

مع الناس: «يحجم كثير من البنات عن مصادقتى، أمتى كثيرة اللوم لى، أبى لا يثق بى وبما أقوله له، لا يتقدم لى عرسان للزواج، لا أستطيع التوافق مع صديقاتى وأخواتى». إذا أحست الأخت بما يحيط بها من مشكلات، وما تحسه من آلام، فلا تلومن إلا نفسها، فلتبدأ بها، ولا تجعل الأطراف الأخرى أو من يحيط بها مصدرًا لهذه المشكلات، ولكن تجعلهم سبيلًا للخروج منها، بتغيير سلوكياتها وأخلاقها معهم، وسوف ترى ماذا فعل الدفع بما هو أحسن مع الناس، وسوف تجد آيات الله تتحقق أمامها كضوء الشمس الساطع، ولا تنتظر إلى أن يجتمع حول قلبها الذنوب، فيرون عليها، ولا تستطيع الخروج.

(١) مسلم فى الزهد والرقائق (٦٤/٢٩٩٩) بلفظ: «عجبًا لأمر المؤمن؛ إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرًا له».



ما هو الطريق للإحساس بالذنب والعلم به؟ [الحواس - العقل - الآخرون].
 يمكن أن تحس المذنب بالخطأ؛ إما من خلال حواسها كأن ترى نفسها في وضع خاطئ، أو تسمع ما تقوله من ألفاظ لا تليق، أو أن تشم الرائحة العطرة الشديدة تفوح منها في أماكن وجود الرجال، ثم يكون هذا الإحساس جزءاً من الإدراك العقلي لها، وتبدأ في التمييز وحساب النفس، ولكن هذا الأمر لا بد أن يكون قائماً على علم، وإلا مر الكرام.
 ويأتي الإحساس بالذنب من خلال العلم به بعد القراءة أو الاستماع أو المشاهدة لمواقف مماثلة لسلوك تقوم به الأخت، فإذا بها ترى ما تفعله في الآخرين، أو تسمع لخبرات مماثلة، أو تقرأ آيات من القرآن فيشرح صدرها لآياته، وينعم الله عليها بالفهم والإدراك لمعانيه، فتدرك - حينئذ - كم كانت مخطئة ومذنبه في حق نفسها، أو غيرها، أو حق رب العباد، وهذان الطريقان جاءا من إحساس لمنبه خارجي خاص بالمذنبه، أو جاء من إحساس داخلي وإدراك عقلي بعد القراءة والفهم، والتمعن في الآيات.

أما إذا جاء التنبيه من شخص آخر موجه للأخت المذنبه، فهو قد يكون في شكل نصائح تعطى بشكل مباشر أو غير مباشر، وقد يكون في شكل إرشادي أو تعليمي، يتم تدريسه كإمادة دينية أو درس ديني، فتخرج منه الأخت بمؤشرات لتعديل سلوكها أو الإحساس بالذنب، وقد يكون في شكل تعليقات من الصديقات في المدرسة أو الجامعة أو الجيران، أو في النوادي، أو غيرها.

وهذه التعليقات قد تكون مباشرة للأخت، أو غير مباشرة أثناء الحديث عن أخطاء الغير، وما أكثر هذه الأنواع من الأحاديث بين النساء خاصة، وقد تكون في شكل لوم أو عتاب مباشر، مثلما تفعل الأمهات مع بناتهن، أو المعلمات مع تلميذاتهن، أو بعض الأخوات المخلصات.

وقد تكون في شكل انتقادات لاذعة، توجه مباشرة للأخت من الزملاء أو الإخوة أو الأقارب، وخاصة من لا تكون هدفها إرضاء الله، أو الأخذ بيد أختها للفوز بالجنة أو النجاة من النار، وإنما هدفها الإحباط، أو إظهار قصور الغير، أو الغيرة، أو الحقد والحسد.

في رحلة العلم بالذنب :

يتعين على الأخت المسلمة أن تعلم وتتعلم من القرآن الكريم والسنة المطهرة ما يأمرها به الله تعالى لتأتمر به، وما ينهاها عنه الشرع لتنتهي عنه، وتدعو الله، وتخلص في الدعاء أن



يعلمها من القرآن ما تجهله، وأن يرزقها تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، وأن يذكرها منه ما نسيت؛ فهو من الله الذى أنزل القرآن على رسوله ﷺ ليكون نوراً وهداية للعالمين إلى يوم الدين، وهو الذى يسره للذكر، وهو الذى أنزله بلسان عربى مبين، فإذا داومت على حفظ آية كل يوم منذ بلوغها، فستحتم حفظه إن شاء الله تعالى فى العقد الثالث من عمرها، أو قبل ذلك بقليل، أو بعد ذلك بقليل.

فهيأ يا أخت الإسلام لتدخلى زمرة الحافظين للقرآن؛ فيكون لك نوراً فى الدنيا وعلواً فى الآخرة.

وأنت فى رحلة الحفظ لنور الله وهدايته للبشر، عليك بدوسهين، أو كراستين؛ واحدة لونها أخضر أو أبيض، والأخرى لونها أحمر أو أسود، الكراسية البيضاء تكتبن فيها آيات الأمر والحث على عمل معين. والكراسية الحمراء أو السوداء تكتبن فيها آيات النهى أو التحذير والإنذار أو العذاب، وذلك بالتشكيل للحروف الأخيرة من الكلمات على الأقل، وأقصد من لون الكراسية التفكير بمضمون الآيات.

وأنت فى هذه الأوقات ستذكرين ما قمت به من أعمال يرضى الله عنها، وأعمال ينهى الله عنها، وعند ذلك عليك أن تضعى علامات عليها؛ لتقيسى عليها أعمالك، وتكون هداية لك عند محاسبة النفس كل يوم، وإذا قابلت كلمات لم تفهمى معناها، فلا تتركينها هكذا، ولكن احرصى على معرفة معناها من كتب التفسير، أو من معجم الألفاظ القرآنية، ودونى هذه المعانى فى هامش الكراسية بعد الإشارة إليها عند الآية.

احرصى على كتابة اسم السورة ورقم الآية عند نهاية الآية، وإذا وجدت آية أنت فى حاجة إليها لتزيدك فى الطاعة، أو تعينك على الإقلاع عن المعصية، فعليك أن تعيدى كتابتها بخط كبير، وتعليقها فى مكان على حائط يكون فى محط نظر أهل البيت.. هذا إذا كنت تستطيعين القيام بالعمل بمفردك، وبهمة دون فتور. أما إذا كنت تحبين العمل الجماعى فياحبذا فى العمل الإسلامى؛ فهو خير معين، فلتختارى أقرب الصديقات علماً وديناً وخلقاً وهمة، ولتعرضى عليها المشروع، فإذا وافقت فالعمل فى الحال وليس غداً، ولتخلصا لله، ولتضرعا له، وتطلباً منه العون والسداد، ولتخلصا النية له، ولتستقيما وعلى بركة الله. ولكن هل يمكن أن يكتمل العمل بدون اتباع سنة الرسول ﷺ.



ولتذكرى أمر الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].. فأنت هنا عليك أن تنظمي أوقاتك؛ للنيل من روضة الرسول ﷺ، وليكون لك بزة واقية من الغرق في بحر المعصية.

فإذا كنت ستجعلين كل يوم آية، فاجعلي في الأسبوع يوماً أو يومين لتنهلي من فيض السنة المطهرة، ولتبعي الطريق السابق نفسه في آيات الله، فيكون لك كراستان؛ واحدة لما أمرنا به الرسول ﷺ، وأخرى لما نهانا عنه الرسول ﷺ، وهكذا يكون عندك أربع كراسات بأربعة ألوان: الأبيض والأخضر للأوامر، والأحمر والأسود للنواهي. ولتبعي الطريقة السابقة في حساب النفس عما ائتمرت به، وعما انتهيت عنه، فإذا وجدت حديثاً موافقاً لسلوكك، فلتركزي عليه، وإذا وجدت حديثاً معارضاً لسلوكك قمت به، فلتكتبيه بخط كبير وتعلقه في مكان ظاهر للجميع، إلى أن تنتهي عن هذا السلوك بعون الله وتوفيقه.

فما أجمل أن تزرعي هذه الشجرة في البيت! وما أجمل أن تزرعيها في المدرسة أو الكلية، بأن تكتيبها على غلاف الكتاب أو الكراسة، وتكرريها مع زميلاتك، فأنت هنا لا تحصدى ثمرة واحدة، ولكن تكسبي محصولاً وفيراً، ينفعك في دنياك وآخرتك، ويرفعك في الآخرة كلما قام به عبد أو أمة مثلك، فلك الأجر ولك أجر من عمل بها إلى يوم القيامة إن شاء الله. فهذا الفرق بين ما أكلت فأفريت وما لبست فأبليت، وبين ما تصدقت فأبقيت.

وانتهى أيتها الأخت المسلمة؛ فقد يكون الأمر بدون أداة أمر أو فعل أمر، وقد يكون النهي بدون أداة النهي، فلتفهمي من الآية أو الحديث، أن افعل أو لا تفعل فيمكن لك إشارة للأمر أو النهي.

فإليك هذه الآية وهذا الحديث لتوضح ذلك. قال تعالى في سورة الروم: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧].. فهي آية تحث المسلمة على التزود من علم الدنيا وعلم الدين؛ حتى لا تكون من الغافلين. وقال الرسول ﷺ: «إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تذكر اللسان؛ أي تقول: اتق الله فينا فإنك إن استقمتم استقمنا وإن اعوججت اعوججنا»^(١).

فهو حديث ليس فيه أمر مباشر للإنسان، ولكن جاء الأمر من الإنسان لنفسه أو لأعضائه، وكأن الأعضاء تحاسب بعضها في الدنيا، قبل أن تشهد على بعضها في الآخرة.

(١) الترمذى في الزهد (٢٤٠٧)، وحسنه الشيخ الألباني.



وفي مرحلة العلم بالذنوب - والتي تخوضينها بنفسك لتحصلي على أعلى شهادة وأسمى علم، بوصولك لأعلى الدرجات، وأفضل المنازل عند الله رب العالمين - ستجدين عشرات ومشكلات وأمراضاً، ربما خفيفة أو ثقيلة، فاجعليها منبهاً لك للتوبة. واعلمي أن الله قد جعل ذلك للمؤمن؛ لكي ينفيه من الذنوب، ويصحح له الطريق، ويخفف عنه خطاياها.

يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياها»^(١) [متفق عليه]، ويقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا أراد الله بعبده الخير، عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر، أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة» [رواه الترمذى]^(٢).

ولنفرح بالحديث الذي يبشر المؤمنين بلقاء الله بدون خطايا، يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله، حتى يلقي الله تعالى وما عليه خطيئة» [رواه الترمذى]^(٣).

وفي مرحلة العلم بالذنوب، عليك بإفساح صدرك لنصائح الآخرين، إذا كانت أعجبتك وإن لم تكن؛ فهي مؤشر آخر في الرحلة، فإذا كان فيك ما يقولون فلتبدأي العمل، وإذا لم يكن فيك فلتبحثي عن السبب؛ فحتمًا لك علاقة به من قريب أو بعيد، ولكن لا تتركي ذلك كله وتتجاهليه، وإلا خسرت كثيرًا، وأطفأت نورًا في شارع مظلم.

فما تحسبينه حينًا قد يكون عند الله عظيمًا، فأنت هنا محتاجة إلى ثمرة الصبر لتأكل منها؛ لتكون غذاءً للنفس والبدن، ووعودًا لك على الكبر والنفور، يقول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(١٥٢) [البقرة]. وفي سورة آل عمران يقول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَاصْبِرُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وعليك أن تتحلى بأدب تقبل النصيحة، ومنة الشكر لله أن رزقك بمن ينصحك. يقول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿فَإِذْ رُفِعَ آذَانُكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾^(١٥٢) [البقرة].. فتذكرى أن الناصح رزق لك من الله، وعود لك على الطاعة، فإن كان فيك ما يقول، فعليك بالأخذ

(١) البخارى فى المرضى (٥٦٤١، ٥٦٤٢)، ومسلم فى البر والصلة والآداب (٥٢٧٣/٥٢).

(٢) الترمذى فى الزهد (٢٣٩٦)، وقال: «حسن غريب من هذا الوجه»، وابن ماجه فى الفتن (٤٠٣١)، وحسنه الشيخ الألبانى.

(٣) الترمذى فى الزهد (٢٣٩٩)، وقال: «حسن صحيح».



بالنصيحة، وإذا لم يكن فهي تذكرة، وإن الذكرى تنفع المؤمنين، ثم تجزى للناصح بالدعاء، بأن تدعى الله له بالجزاء الوافر بالخير «جزاك الله خيراً»، وأن يكون هذا الدعاء خالصاً لله، وليس فيه ما ينغص نفسك أو يضايقها.

وتذكرى أن الشيطان هنا إليك أقرب، فالنفس لا تحب الناصحين، سيقول لك هل فرغ الناصح من نفسه لينصح الآخرين؟! ويقول لك: ألسنت بأفضل منها كثيراً؟! من تكون هذه التى تنصحنى؟! ألم تسبب لى إحراجاً فى وسط المجموعة؟! ألم تكن نصيحتها العلنية فضيحة لى؟...؟...؟

فأغلقتى جميع هذه الأبواب فى وجه الشيطان، واستعيذى بالله من الشيطان الرجيم، واجعلى أول ما تفكرين فيه هو الله، وليس نفسك؛ فإنها أمارة بالسوء.

وللغير معك شارع آخر فى رحلة العلم بالذنب، فإذا كانت الأخت قد تقدمت إليك بالنصيحة بدافع منها، فهذا جانب، أما الجانب الآخر، فهو على الرغم من أنه يأتى من الغير، إلا أن باعته أنت، فأنت التى تخينها على إعطائك النصيحة والعون، ولا حظى أنه إذا كانت فى الحالة الأولى وهى التى تتقدم فيها الأخت بالنصيحة لك قد تكون صديقة أو غير ذلك، وقد تكونى تعرفينها أو لا، وقد تكونى قابلتيتها أو لا.

ولكن فى الحالة الثانية - وهى التى تطلين أنت منها النصيحة - فغالباً ما تكون هذه الأخت صديقة أو أختاً لك فى الله، أو أختاً مسلمة أحببت أن تقتربى إليها ومنها. ولذلك فإن النصيحة هنا ستجد طريقاً سهلاً ميسراً للقلب، مهدها لها الدافع الذاتى فى الإصلاح للنفس، والفوز بالسعادة فى الدنيا والآخرة. فما أقوى هذا الدافع! وما أحسن هذه المهمة! فهلمى بها وتوكلى على الله؛ فطريقها سهل، ونتيجتها مضمونة، وشفافاً عاجل، وربحها وفير إن شاء الله، فعلى بركة الله تقدمى، واختارى صفوة الأخوات، وأخلصى النية فى الإصلاح لله تعالى؛ فستجدين أن الله هو الذى يختار لك ويوفقك فى الاختيار، فهل عرفتها الآن؟ أسرعى بالاتصال بها قبل أن تشغلى وتنشغل مع غيرك ولا يكون لك معها نصيب.

وأنت فى رحلتك لست وحدك مذنبه فكل من يمشى عليها مذنب، ولكن خيرهم من أدرك وعلم، فاستغفر ربه، وأناب إليه؛ ليحظى بجنة ربه، ونعم أجر العاملين.

فعليك هنا ألا تكتمى العلم، بل تبليغيه؛ لتأخذى بيد أخواتك؛ لكى يسبحوا معك فى بحر



التوبة والمغفرة الواسع، وتذكرى قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

وتذكرى - أيضا - أنك لا تبغى هذا العلم لتباهى به أو لتبارى به الناس، أو ليقبل الناس عليك، ولكن لله تعالى؛ فقد قال الرسول ﷺ: «من ابتغى العلم ليباهى به العلماء، أو ليبارى به السفهاء، أو تقبل أفتدة الناس إليه، أدخله الله النار» [أخرجه الترمذى] (١).

واطلبى من الله أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يكون صدقة مقبولة لديه، وألا يخالطه عمل سيئ من من أو أذى. فتذكرى قول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُطْلُؤُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤]. وقول الرسول ﷺ: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والمدمن خمر، والمنان» [رواه النسائي] (٢).

ألا ترين كثيرًا من الناصحين يمنون على الناس أنهم كانوا سببًا لهدايتهم أو التزامهم أو تغير حياتهم؟! فلنق أنفسنا وأهلينا نارًا وقودها الناس والحجارة.

وفي رحلة العلم بالذنب، عليك - يا أختاه - أن تنهلى من روضة الأنبياء، التي ستجدين فيها كيف أذنب آدم أبو البشر، وكيف تاب، وكيف أذنب نوح وإبراهيم ويونس وموسى وداود وسليمان عليهم الصلاة والسلام، وكيف توجهوا إلى الله بالتوبة والاستغفار والتضرع إلى الله والدعاء إليه، وكيف تاب الله عليهم.

وهذه الطرق - سواء ما تعلق منها بك أو بمن حولك عمن يوظونك أو ينقدونك من الذنب - أو ما تقومين أنت بإنقاذهم تساعدك على الإجابة عن سؤال: كيف تعرفين الذنب؟ أو ما هي الذنوب؟ أو طريقك للإحساس بالذنب والعلم به.

الاعتراف بالذنب والإحساس بالخسران المبين:

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّنَا تَغْفِرٌ لَّنَا وَتَرْحَمَةٌ لَّنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

بعد إحساسهما بالمعصية، فهل أحسست بالذنب، وكانت لديك القدرة على الاعتراف به؟ إذا أحسست بالذنب فهذه نعمة من ربك .. فقد تكونين أنت التي أحسست بها وقد

(١) الترمذى فى العلم (٢٦٥٤)، وقال: «لا نعرفه إلا من هذا الوجه»، وحسنه الشيخ الألبانى.

(٢) النسائى فى الزكاة (٢٥٦٢)، وأحمد (٣٩٩/٤)، وصححه الشيخ الألبانى.



يكون غيرك هو الدافع لذلك، وربما تكون هذه المرحلة مهمة، ولكن المرحلة الأصعب هي الاعتراف بذنبك.

اعلمى أنك الآن استدخلين معركة للعدوان الثلاثي: النفس والشیطان والناس. فالنفس أمانة بالسوء، والشیطان وعد ربه بغواية الإنسان، وجعلها صراطه المستقيم، والناس وما فيهم من حب الذات، ورغبة في الانتقام والثأر والكبر والظلم، ومن فيهم من الغاوين أتباع وجنود الشياطين، وغيرها من الصفات التي لا عاصم لنا منها إلا الله اللطيف الخبير: «اللهم الطف بنا إنك أنت اللطيف الخبير، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم». فهناك دفاعات نفسية وحوارات ذاتية للإقناع، بأن النفس لم ترتكب هذا الذنب، فتبدأ الأخت بإقناع نفسها بأنها على حق، وتأخذ في إعطاء مبررات لما قامت به، وترمى الحمل على غيرها، كأن النفس ليس لها علاقة بالموضوع أو المشكلة، فترى المشكلة كأنها تمثيلية تعرض على الشاشة الصغيرة، وهي أمامها متفرجة سلبية، ليس لها القدرة على التأثير، ولكن تتأثر فقط.

وقد يكون هناك حوار ذاتي لانتصار النفس، وليس الانتصار عليها، فينهزم الإنسان أمام رغباته وآماله وأحلامه. وأمام ما في النفس من فجور ونسيان - وقد تكونى واحدة من هؤلاء - إما أن تستطيعى أن تعترفى لمن أخطأت في حقه من الناس، وإما أن تعترفى لله لمن أخطأت في حقه من الناس، وإما أن تعترفى لنفسك فقط.

فإذا كنت الأولى فأنت إما أن تكونى مجاهرة بالمعصية فقط إذا لم تكن نيتك التوبة النصوح، وهنا ستجدين ارتفاعاً في صفة الكبر، التي ما لازمت المسلم إلا وأدخلته النار، وحرمته من الجنة، فلا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، أما إذا اعترفت للناس أنك المخطئة في حقهم - بنية الإصلاح والتوبة - فأبشرى؛ فأنت على الطريق المنشود.

ولهذا الاعتراف جوانب يجب مراعاتها، منها:

للّ الدعاء لله بالتوفيق والإصلاح.

للّ الصلاة ركعتين لقضاء الحاجة، تطلين من الله فيهما التوفيق.

للّ قراءة ما تيسر لك من القرآن، ويا حبذا لو كان قلب القرآن (يس)؛ حتى يطمئن

قلبك؛ فالقلب هنا منزلة كبيرة.



﴿ السرعة وعدم التسويف أو التأجيل؛ حتى لا تلهيك الدنيا وما فيها من مشاغل عن العمل.

﴿ الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم كثيراً؛ فهو لك في هذا الوقت قريب جداً، والتأكيد على قراءة المعوذتين.

﴿ شحذ النفس لمواجهة دفعاتها ونزغاتها، وذلك من خلال الذكر والحوار الذاتى البناء ومحاسبة النفس.

﴿ تجهيز أى هدية مادية تناسب من ستتوجهين إليه بطلب العفو؛ فهى مفتاح القلوب .. وهى مفيدة لك أيضاً؛ لاعتبارها رادعة لك عن الخطأ، واعتبارها وسيلة للعقاب المادى.

﴿ الاستبشار بقبول المعذرة والتفاؤل بالصلح؛ فإن الوجه والابتسامة يصلح كثيراً ما أفسده اللسان.

﴿ حسن اختيار الأسلوب والألفاظ المناسبة لمن وقع عليه الظلم، والدعاء له.

﴿ الدعاء لمن وقع عليه الظلم؛ فهو خير معين لتصفية النفوس.

﴿ الإكثار من العمل الصالح لمن وقع عليه الظلم؛ حتى تشعرى أنه رضى وارتاح قلبه، وأصبح يدعو لك بظهر الغيب.

﴿ شكر الله وحمده كثيراً على هذه النعمة التى حباك الله بها.

أما إذا لم تستطعى الاعتراف للناس بخطأك معهم، وآثرت الاعتراف لله، فإن هذا الاعتراف ناقص، ولكنه يغيب فى أحيان كثيرة؛ كأن يكون الشخص الذى ظلمته لا تستطيع الوصول إليه؛ إما لوفاته أو لسفره أو لبعد المسافة بينكما، أو لعدم معرفة مكانه. فلك أن تكثرى من الدعاء والاستغفار، والتضرع إلى الله، وكثرة الأعمال الصالحة، والدعاء للشخص نفسه، وربما رد المظالم لأهلها، إذا استطعت الوصول إليهم.

وفيد الاعتراف لله فى حالة عدم التأهل النفسى للمذنب، وعدم قدرته على المواجهة، وأن يخشى أن يثمر هذا الاعتراف بذنوب أخرى ومعاصٍ لا قبل له بها. فكثير من الأخوات عندما يواجهن الناس، تأخذهن العزة بالإثم، فتحول نفسها من معذرة وطالبة للعفو، إلى متعدية وجانية على المظلوم، فتزداد إثماً على إثمها وظلماً على ظلماً.



ففى هذه الحالة - وإذا كنتِ من هؤلاء - فالأفيد أن تتوجهى أولاً بالدعاء إلى الله، وطلب العون منه للانتصار على النفس وكبرها وفجورها؛ فهو خالقها وأعلم بها، وهو أرحم الراحمين، وعليك بالصلاة ركعتين للحاجة، وأن تخلصى وتحسنى النية فى هذا العمل لله؛ حتى تستطيعى مواجهة الصدمات، وما سوف يقع عليك من لوم أو أذى أو هجران أو حرمان أو عقاب، وإذا وجدتى أن فجور النفس انتصر عليك، فأعيدى الدعاء والتضرع واللجوء والاستغفار لله تعالى والصلاة؛ حتى تطمئنى تمامًا إلى هدوء النفس وتقبلها الاعتراف بدون ظلم للنفس أو ظلم للآخرين.

كما يفيد الاعتراف لله فى حالة سوء خلق المظلوم، وعدم تحكمه فى نفسه، وعدم قدرته على التسامح، أو من يتصيدون للإنسان الأخطاء، ولا يلتمسون الأعذار، أو يكون صاحب سلطان ظالم، أو ممن يحبون أن تشيع الفاحشة بين الناس، أو غيرها من الصفات التى تكون حجر عثرة أمام تسامح الناس مع بعضهم، وتقبل الأعذار والرحمة بينهم. ففى هذه الحالة يصعب على المخطئ الإعلان والاعتراف بالخطأ؛ فهناك خطأ أكبر سيقع على جميع الأطراف، ولكن يظل اللجوء إلى الله وحده لا يلغى حقوق الناس إلا بعد ردها؛ فلتتجه الأخت باللجوء إلى الله مرحلة أولية، وتمضى بخطى حثيثة فى طريق إكمال التوبة، مع الإخلاص لله، وهنا سيكون عليها الاهتمام بهذه الجوانب:

❁ الدعاء لنفسها ولن ظلمته أيضًا.

❁ الطلب من الله الواحد القهار أن يصلح حال من ظلمته، وأن يقبل معذرتها بصدر رحب.

❁ أن تتقرب إليه ببطء بالعمل الصالح لتأهيلها نفسيًا.

❁ أن تستعين ببعض المخلصين التى تثق فيهم الأخت؛ ربما يساعدونها على التقرب، وربما يخففوا من حدة الموقف. ولكن إذا لم تحسن اختيار المخلصين، فإن الموقف سيزداد سوءًا، فلتدقق جيدًا، ولتستشر أيضًا قبل الاختيار.

❁ أن تحاولى معرفة بعض الصفات لمن وقع عليه الظلم، التى يمكن أن تكون مدخلًا لقلبه لتقبل الأعذار، وهذه الصفات قد تكون حب الثناء والمدح، حب الهدايا، حب أماكن الترفيه والتسلية، حب أولاده أو أصدقائه، فهناك مداخل كثيرة للبشر، والتوفيق من الله، عليه توكلنا وإليه نيب.



أن يتم عرض العذر والاعتراف بالخطأ بشكل غير مباشر، وربما على مراحل، إذا كان الأمر يستدعى ذلك؛ كأن تكون المشكلة معقدة، أو طال عليها الزمن وتراكت عليها مشكلات أخرى.

ويفيد الاعتراف لله في هذه الحالة، إذا وضعت الأخت في اعتبارها أن الوقت يساعد على نسيان الهموم والمشكلات، وأن الإنسان غالباً ما يحاول نسيان المواقف الصعبة في حياته، وهي من الدفاعات النفسية التي يلجأ إليها الإنسان للحفاظ على توازنه وراحته النفسية والعصبية، ففي هذا الوقت التي تلجأ فيه الأخت لله، وتحاول إصلاح نفسها، سيكون الطرف الآخر، بدأت تهدأ عنده نوازع الغضب والكراهية، وبدأت مشكلات أخرى تطفئ على الماضي وآلامه.

ولكن حذارى من هذه النقطة؛ فهي من مداخل الشيطان التي تعوق التوبة والاستغفار، وعليك أن تتخذها مرحلة للعود على التوبة وليست لنسيانها، فأنت لا تطلين التوبة من أجل الدنيا، ولكن من أجل يوم الحساب، يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم، فما يمكن أن ينساه من ظلمتيه في الدنيا لا يمكن أن ينساه في الآخرة، ففي هذا اليوم يقول البشر: نفسى نفسى.

فإما أن ينقصك من حسناتك لترد إليه، وإما أن يعطيك من سيئاته لتطرح عليك فتطرحى في النار - والعياذ بالله: «اللهم إنا نسألك الجنة ونعوذ بك من النار».

وهناك طريق أخرى للاعتراف بالذنب، وما أكثر من يستخدمونها؛ فهو أرخص وأسهل على النفس، ولكن طريقها طويل وغير مضمون، وهو أقرب لعدم الاعتراف منه للاعتراف. ومن هنا كانت خطورته، ومعناه أن يجاسب الإنسان نفسه على ما ارتكب من الإثم في حق نفسه وحق الله وحق الناس. فإذا وقف الحوار النفسى عند هذه الحالة واكتفى، فإن الشجرة زرعت في أرض صلبة لا تنمو ولا تثمر، فأصبحت هشيماً، وجاءها الريح، فقذفتها في مكان سحيق. فلا يكفى العلم بالذنب والإحساس به والاعتراف الذاتى، ولكنها بدايات ومراحل لا غنى عنها في التوبة، ولا تغنى عنها.

ولكى يكون الاعتراف الذاتى مرحلة وليس نهاية، يجب ملاحظة:

❖ أن يكون هذا الاعتراف قائماً على العلم الحقيقى، الواعى بالذنب وطبيعته.

❖ أن تكونى حكماً عادلاً على نفسك، فلا تظلمها ولا تظلمك.



﴿ أن تحكّم عقلك، وتجعليه قائدًا للموقف، قائمًا على الأصول الدينية.

﴿ أن تختار الوقت المناسب للمحاكمة؛ حتى يتم الاعتراف الكامل من النفس.

﴿ أن تحيطى بالنفس من جميع الجوانب؛ لتجربها على الاعتراف، ولا تلتمس لها الأعذار، ولا تتبعى هواها.

﴿ أن يقل اتصالك ومعاشرتك ومصاحبة للظالمين؛ فهم يُزينون العمل السيئ، ويحسبون أنهم يحسنون صنعًا.

﴿ أن تحاولى التقرب للصالحين، وتكثري من الجلوس معهم، والاتصال بهم، ومعرفة سيرتهم وسلوكياتهم؛ إما منهم، أو من المقربين إليهم؛ فهم عون لك على الإصلاح الذاتى والافتداء بهم.

﴿ أن يتبع الاعتراف الذاتى شعور نفسى بالندم والخسران والحزن الشديد، وهو مؤشر واضح لنجاحك فى مرحلة الاعتراف؛ فهى تعنى الخروج من مرحلة إلى ما يليها، وحدوث التطور النفسى والإصلاح الذاتى المرحلى.

ويجب توضيح أن الاعتراف الذاتى مرحلة لا غنى عنها فى أى نوع من أنواع الاعتراف بالذنب، سواء أكان بين الإنسان وربه، أو بين الإنسان وغيره من البشر، أو بين الإنسان ونفسه.

- ولكن قد يكون هو نفسه نوعًا من أنواع الاعتراف بالذنب، وآخر مراحلها، وهو ما نحذر منه، وما قصدناه فى شرحه فى البداية.

اتخاذ الشيطان عدوًّا (١)؛

يقول تعالى فى سورة الأعراف: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [الأعراف: ٢٤]، ويقول تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦].

كان الشيطان عدوًّا لآدم منذ خلقه الله، فدفعه إلى معصية الله، واستغل طبيعة آدم الذى خلق من الطين، وعرف أن من طبيعته النسيان، فوسوس له ليخرجه مما فيه من النعيم والجنة، وتحديًا لله الواحد القهار، وكأنه يريد أن يقول: فهذا آدم الذى خلقته وفضلته على الملائكة

(١) تم الاستعانة فى هذا الجزء بكتاب البيان فى مداخل الشيطان (عبد الحميد البلالى)، مؤسسة الرسالة، د. ت.



وأمرتهم بالسجود له، ها هو يعصى أوامرك هو وزوجه حواء، وقال الشيطان: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٣٩) ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُتَخَلِّصِينَ﴾ (٤٠) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ [الحجر].. فهذا تحدُّ واضح ومباشر لخالق الكون.

ويأمرنا الله تعالى أن نتخذ الشيطان عدوًّا، وجعله واضحًا ومبينًا لكل البشر: ﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ (١٥) [القصاص].. فهذه الصفات أخبرنا بها الله لتتهدأ له نفسيًا وعقليًا وجسديًا، ونعرف مداخلة جيدًا؛ لنغلق جميع الأبواب في وجهه، وننجوا من وسوسته وشره.

وعندما تضع الأخت المسلمة الشيطان في وضعه الحقيقي، فسوف تجد أنها تستعد لمواجهة الشيطان كما يستعد الجيش لمواجهة العدو: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، ويكون هذا الإعداد من خلال التحصن بالعلم النافع وقوة الإيمان؛ فهو وسواس خناس، يقترب من الإنسان عند بعده عن الله، ويخنس عند ذكر الله، والتحصن بآياته.

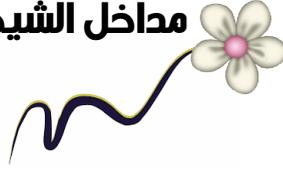
كما يكون الإعداد بالتحصن النفسى وكبت نزغات النفس العدوانية والانفعالية، التى تمثل أرضا خصبة للشيطان وأعوانه من بنى الإنسان. ويتم تطهيرها بشكل دائم ومستمر من كل الشوائب والأمراض، مثل الحقد والكراهة والحسد والقطيعة، وغيرها، وإذا زادت هذه الأمراض، فمعنى ذلك أن تصاب الأخت المسلمة بمرض فقدان المناعة، وهو ما يشبه مرض الجسد الذى يسمى أيضًا بفقدان المناعة (أو الإيدز)، وتصبح الأخت كالجسد العارى المريض، الذى تتسارع عليه الأمراض وهى منهزمة، لا تستطيع المقاومة أو الانتصار. وتقف أعضاؤها عن أداء وظائفها: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩].

فإذا قلت لمن فتحت المناقشة: هذا حلال أو هذا حرام، فستقول لك: أنت على الحق، فقد ران على قلبها بالآثام، ولا تستطيع أن ترى نورًا أو هدى قبل أن تشفى مما فى صدرها.

وفى هذه الحالة ليس لديها أعظم من دواء القرآن: ﴿وَشَفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧]؛ فالإكثار من قراءته وسماحه ودراسته وحفظه، وإدراك معانيه، هو الطريق للشفاء بإذن الله.



مداخل الشيطان



ولها بعد ذلك التركيز على معرفة مداخل الشيطان للإنسان، ومنها:

الأمر بالسوء:

يقول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٩].

وهو هنا مشترك مع الإنسان في الأمر بالسوء: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣].
فعلى المسلمة إذا فعلت السوء أن تتذكر الله سريعاً، وتلجأ إليه بالاستغفار والتضرع إليه،
يقول الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

نسيان ذكر الله:

يقول الله تعالى في سورة المجادلة: ﴿أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ [المجادلة: ١٩].
فعلى الأخت المسلم ألا تلهيها الدنيا - بما فيها من متاع - عن ذكر الله، يقول الله تعالى في
سورة المنافقون: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَأَنَّهُمْ ءَمَوُاْكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: ١].

الغواية:

وهي الإضلال والإغواء، والجهل الناشئ عن اعتقاد فاسد، قال تعالى في سورة الحجر:
﴿قَالَ رَبِّ مَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٣٦] **﴿٤٠﴾**
[الحجر: ٤٠].

فلا نجاة من غواية الشيطان للإنسان إلا بالإخلاص لله الواحد القهار.
والإخلاص يتضمن صفاء النفس بما فيها من شوائب وأمراض، والإخلاص في طاعة الله
أن تترك الرياء، وأن تخلص له في القول والفعل. يقول الله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَأَدْعُوهُ
مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩].



نزغ الشيطان:

يوسوس الشيطان للإنسان، ويزين له ما يريد منه أن يفعله، يقول الله تعالى: ﴿الَّذِي يُوسَّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾﴾ [الناس] .. وهنا الدواء، وهو الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم. يقول الله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأعراف]. وأن تتحرى الأخت قول كل ما هو طيب وحسن، يقول الله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿٥٢﴾﴾ [الإسراء].

انتهى أيتها الأخت المسلمة - وخاصة الصغيرات اللاتي يتميزن بالمرح وخفة الدم والفكاهة - فقد يكون ذلك مدخلاً من مداخل الشيطان، فبعض البنات يعتبرن الفحش من القول هزلاً، وأنه إزالة للفوارق بينهن، وبعض الأمهات والجدات يعتبرن الفحش - قول الصغير الذي يتميز بالتعبيرات غير اللائقة - شيئاً فكاهياً، فينشأ الطفل على التفوه بهذه التعبيرات، ولا يجد منها مفراً عند الكبر، فليس كل الوقت سيقبل الناس الفكاهة بالسيئ من القول، وليس كل الناس من يقبل هذه الطريقة في الحديث، ومن ثم فالنتيجة أكيدة ونجاح الشيطان في النزغ مضمون، فلا تفوتى عليك فرصة الإحساس والإدراك الجيد لنزغات الشيطان، فلتستعذى بالله منه، ولتغلقى عليه كل الأبواب.

الوعد بالفقر:

يقول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ ﴿٢٦٨﴾﴾ [البقرة: ٢٦٨]. تذكرى هذه الآية عندما تطلب منك أختك استعارة بعض كتبك أو بعض أشياءك، فتجدى نفسك تنكرى وجود مثل هذه الأشياء؛ خوفاً عليها من الضياع أو الفساد، وربما لا تخافى عليها من الضياع فقط، ولكن تحذرك نفسك باستكثار هذا الخير عليها، وتخافين أن تتفوق عليك به. وإذا تركت نفسك لهذا الحديث الشيطاني الداخلي، فستجدين خوفاً على أشياءك من الضياع وخوفاً على نفسك من الفقر، وهنا تدركى أن الشيطان وراء هذا المرض. فلتنتبهى ولتستعيني بالله عليه وتستغفري، ولا تقطعى الخير عن أختك، أو صديقتك، أو من طلب منك المساعدة، التي قد تكون (مالا - ملابس - أدوات كتب ... إلخ) فلتنفقى ولا تخشى من ذى العرش إقلاقاً.



التخويف:

يقول الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران].

فكيف تخاف الأخت المسلمة ممن يخاف من الشيطان ويتبع خطواته؟! فلتنتبه إلى كل ظالم ومتعد وفخور ومتكبر، وكل من اتبع الشيطان وأصبح من أوليائه، فلا تخشى إلا الله، وتذكرى أن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر؛ فأتباع الشيطان يخطون خطاه، ويأتمرون لأوامره، ويتتهون لنواهيها، فعندما يأمرهم بقطع الرحم يقطعونها، وعندما ينهاهم عن العمل الصالح؛ خشية الفقر أو استهزاء بالناس، أو ضياع الوقت، فإنهم يتتهون عنه. ولذلك فكبر حجم هؤلاء الناس وارتفاع منزلتهم في الدنيا وغناهم وقوتهم، لا يجب أن يخوف المؤمنة أو تعظمه في نفسها.

وإليك أمثلة تقرب لك ذلك:

☞ من تخاف لبس الحجاب؛ لأنها تخاف من ناظرة المدرسة أو مديرة العمل أن تطردها وتحرمها من الدراسة أو العمل.

☞ من تخاف من مدير العمل، فلا تصلى في وقت الصلاة؛ حتى لا يؤذيها بالخصم من مرتبها أو الطرد.

☞ من رأت مدرستها يرتكب معصية، ولكن خافت أن تشتكى؛ خوفاً من التأثير على درجاتها.

☞ من امتنعت عن النهي عن المنكر لزوجها أو أخيها أو معلمها الذي يشرب السجائر؛ خوفاً من أذاه.

☞ من امتنعت عن الأمر بالمعروف لمعلمتها أو رئيستها في العمل، بأن تدعوها لللبس الحجاب.

فهذه أمثلة لمن يخافون ممن يخاف من الشيطان .. فلتدرك الأخت المسلمة، أن ذلك معيار لإيئانها بالله تعالى.

الأماني والوعود:

قال تعالى في سورة النساء: ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُمِّتُّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء].



فما أكثر ما وعد الشيطان البنات بالزينة ومناهم، ووعدهم بكثرة إقبال الشباب عليهن، وفرصة الإقبال على الزواج منهن، وما أكثر ما وعدهن الشيطان بالغش في الامتحانات؛ ليحرزن درجات عالية، وما أكثر ما وعدهن بالعمل بما يغضب الله تعالى؛ لكسب فرصة عمل في مكان مرموق .. فلتنتبه البنات والأخوات إلى الوعود الزائفة المضللة، التي تهوى بصاحبها ومتبعها في أرذل الأرزلين، أو أسفل السافلين في الدنيا وفي الدين.

الاستهواء:

قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أُمَّتِنَا قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [الأنعام].

هل أجريت هذا الحوار مع نفسك أو مع أخواتك أو صديقاتك: ﴿أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٧١].

فكم من الفتيات بعد أن تختار طريق الإيمان والطاعة لله - سبحانه وتعالى - تجد إقبال الدنيا عليها، وإقبال بعض صديقات السوء، فإذا بها تجد نفسها في صراع وحيرة .. إلى أين تذهب؟ إلى الأخوات في الله أم إلى صديقات السوء - هي لا تراهم هكذا إلا إذا هداها الله - فإذا وجدت نفسها مع صديقات الدنيا والهوى والمتاع الزائل، فقد استهوتها الشياطين.

ولكن فلتدرك أن الإخلاص لله هو طريق الهداية والفلاح، ولتتذكر أننا أمرنا لنسلم لرب العالمين، فالأمر ليس ماذا أحب وأهوى وماذا أريد، ولكن الأمر لله وحده، وهدى الله هو الهدى: «اللهم اهدنا فيمن هديت وتولنا فيمن توليت».

الإيحاء بالمجادلة:

قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّدُوا لَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٣١﴾﴾ [الأنعام]. .. كثيراً ما تلجأ بعض البنات اللاتي لم يلتزمن بما أمرهن الله من الطاعة لله ورسوله وحسن عبادته وتحسين أخلاقهن، فيلجأن إلى الأخوات اللاتي أنعم الله عليهن بالالتزام والطاعة؛ ليجادلوهن في أمور الدين بغير علم، ولتعلم الأخت أن هذا من عمل الشيطان، ولتنتبه له جيداً. ولا تخوض معهن في الجدال الذي لا يأتي من ورائه الخير، وإنما غرضه الأساسي الحقد والحسد وإذلال



المؤمنات. وقد يقوم بهذا الجدل مدرس في الفصل يجرى حوارًا من هذا النوع مع المحجبات، أو يقوم به أحد أقارب الأخت، وذلك أمام قريباتها وزميلاتها وأصدقائها، ويكون غرضه الإحراج، وإظهار ضعف الأخت المسلمة الملتزمة، والاستهزاء بها.

تحريم ما أحل الله:

قال تعالى: ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (١٤٢) [الأنعام].

أمرنا الله بأكل الطيبات من الرزق، وحرم علينا الخبائث، وهذا يعرفه الكثيرات بحكم الفطرة، ولكن إذا ظهرت مدارس للتغذية والرجيم تمنع أكل لحوم الحيوانات ومنتجاتها من ألبان وجبن وقشطة وسمن وزبادى، وغيرها من المنتجات الحيوانية بحجة ضبط الجسم، وإعطائه نوعًا من الهدوء النفسى والروحى - فإن هذا النظام أو الرجيم ليس إسلاميًا على الإطلاق؛ فقد حرم الله أنواعًا من الأطعمة الطيبة على اليهود عقابًا لهم، ولكن حرم على المسلمين الخبائث، أما الطيبات من الرزق فقد حدها لنا الشرع، وحدد لحوم الحيوانات الطيبة وحدد الخبيثة، وكان للمسلمين نظام فى الطعام اتبعه المصطفى ﷺ، فجعل الطعام ثلاثة أثلاث: ثلث للمعدة، والثلث الثانى للماء، والثلث للهواء^(١).. فليس للشعب مكان فى سنة الرسول ﷺ، وكان للرجيم الإسلامى المحمدى طريقًا سلكه المسلمون، فلا يأكلوا إلا إذا جاعوا، وإذا أكلوا فلا يشبعوا، فهذا سلوك ونظام يتحكم فى الكم والكيف بعدما عزل الأنواع الخبيثة المحرمة.

فلا لرجيم الحرمان، الذى لا يأتى من ورائه خير، فلا يجد متبعه إلا شرًا بعد حرمان، فيقبل على الطعام، ويزيد وزنه أضعافًا مضاعفة، ولا لرجيم التحريم، الذى يجرم أكل الطيبات، بدعوى صحة الجسم، ونعم لنظام الرسول ﷺ وسنته فى الطعام.

وهذه أصوله:

كلوا واشربوا ولا تسرفوا.

كلوا صوموا تصحوا.

كلوا لثلاث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه.

كلوا لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع.

(١) ابن ماجه فى الأطعمة (٣٣٤٩)، وصححه الشيخ الألبانى.



وهناك حديث لرسول الله ﷺ، يذكر حينما يراد الاقتصاد في الطاعة، ولكن له جوانب عديدة ودروس مفيدة، خاصة لمن يسرفون على أنفسهم، ويحكمون على أنفسهم بأحكام ليست من الإسلام في شيء، فالمسلم مطالب بالالتزام بسنة الرسول ﷺ واتباع سبيلها. فعن أنس قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ؛ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها (عدوها قليلة)، وقالوا: أين نحن من النبي ﷺ، وقد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: أما أنا فأصلى الليل أبداً، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر أبداً ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: «أنتم الذين قُتِمَ كذا وكذا؟، أما والله إنني لأخشاكم لله وأتقاكم له؛ لكني أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»^(١).

ولمثل هذا الحديث أن يصحح مسيرة واعتقاد بعض الأخوات، اللاتي يتخذن لأنفسهن طرقاً جديدة في العبادة، لم يسنها لنا الرسول ﷺ، وهن يحسبن أنهن يحسنن صنعاً.

النجوى (إسرار الحديث):

قال الله تعالى في سورة المجادلة: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَرَارِهِمْ شَيْئًا ۚ لَا يَأْذِنُ اللَّهُ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(١). ويقول الرسول ﷺ: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما؛ فإن ذلك يحزنه»^(٢).

والنجوى كحديث سرى بين اثنين أو أكثر - في حد ذاته - ليس حراماً إذا كان كما أمرنا الله بالبر والتقوى، ونهانا الله أن يكون هذا الحديث لإثم أو عدوان أو معصية الرسول ﷺ، وتنبهنا الآيات في سورة المجادلة إلى أن النجوى من الشيطان، وهو ما يعتبر إشارة لكل أخت أن تقلع عن هذه العادة أو السلوك، الذي لا يأتي من ورائه - عادة - الخير؛ فقلما يكون داعياً للبر والتقوى. فإذا أسرت الحديث اثنتان، وكان معها ثالثة، فإن الظن سيغلب عليها أنهما يتحدثن في غير صالحها، فإن كان لابد للحديث، فلتحسن الأخت اختيار الوقت والمكان، وألا يثمر العمل عن بغض بين الأخوات، وزيادة لسوء الظن بينهما.

ألم يلفت انتباهك ما يحدثه الحديث بين أختين أو صديقتين في ثالثتهما، من حزن أو

(١) البخارى في النكاح (٥٠٦٣)، ومسلم في النكاح (٥٠١/١٤٠١).

(٢) البخارى في الاستئذان (٦٢٩٠)، ومسلم في السلام (٣٧/٢١٨٤).



غضب أو حديث داخلي، تظن فيه الثالثة ظن السوء في الاثنتين؟ فكثيراً ما يحدث الشجار بين الأخوات داخل المنازل، والمدارس، والنادى، ويتبعه الخصومة والحقد والحسد.

ومن المفيد ألا تطبق الأخوات النجوى على كل المواقف، فلتدققى في الآيات والحديث؛ فالنجوى نوعان: نوع محمود، ونوع مكروه؛ فالنوع المحمود: هو ما يكون نتيجته جميع أنواع الخير، وهو البر وتقوى الله، وهناك مواقف لا تكون النجوى مفيدة فقط، ولكنها ضرورية ومطلوبة؛ كاجلوس في الأماكن العامة، مثل عيادة طبيب، ومحطة أتوبيس، وهذه مواقف توضح ذلك:

- وسائل المواصلات العامة، فمثل هذه الأماكن لا يصح الجهر بالحديث فيها ليسمعه من على اليمين واليسار، حتى إذا كان المتحدث والسامع من جنس واحد؛ فالحديث لا يخص إلا متحدثيه.

- ارتفاع الصوت في الحديث بين الاثنتين في الندوات والمؤتمرات والاجتماعات وفصول الدراسة. فمثل هذا السلوك كثيراً ما يؤدي إلى عدم تركيز الحاضرين، وحدوث الضوضاء اللافتة للانتباه، والمؤدية إلى عدم الانتظام، وعدم الاحترام للمتحدث [مدرس - محاضر...]. وللسامعين.

- في أماكن العلاج أو المستشفيات، حيث المرضى الذين يعانون من الآلام، أو يمكثون للراحة؛ فإسرار الحديث هنا مفيد لعدم الإزعاج، وهو واجب وضروري.

- أثناء نوم الأب والأم أو الإخوة؛ فإسرار الحديث واجب ومفيد للحفاظ على الهدوء والسكينة في البيت. ولكنه يجب أن يراعى نفسية من يستمع للحديث، وهو الطرف الثالث، وأن يلفت انتباهه لذلك، أما ما حذرت به سنة الرسول ﷺ فهو: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان من أجل أن ذلك يحزنه»^(١).

اتباع هدى الله :

يقول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿فَأَمَّا يَا تَبِيتَكُمْ مَنِي هُدَى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة] نزل آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ مغفوراً له، ولكنه معه أسباب الخطأ، وهى نفسه وطبعه وقلبه وهواه والشيطان، وقد ورثها منه بنوه، فكل بنى آدم خطاء، ولكن الله تعالى لم يتركه

(١) البخارى فى الاستئذان (٦٢٩٠)، ومسلم فى السلام (٣٧/٢١٨٤).

هكذا. وإنما أنزل آياته على رسله وأنبيائه بالهدى للناس أجمعين، ووعدهم أن من يتبع هداهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الدنيا والآخرة، فأصبح الخطاء مستغفراً، وكان الله تواباً رحيمًا.

وكما أمر الله الناس باتباع ما أنزله من الهدى واتباع الرسل والأنبياء، أمرنا الله بالاعتداء بالصالحين الذين هداهم الله، يقول الله تعالى في سورة الأنعام: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْيِهِم مَّتَّعَهُمْ أَقَدِرٌ قُلَّ لَأَسْأَلَنَّكُمْ عَلَيْهِمْ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنعام]، واشترط بمن يريد أن يهتدى أن يشرح له صدره للإسلام، يقول الله تعالى في سورة الأنعام: ﴿فَمَنْ يَرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام: ١٢٥].. أمر الله تعالى باتباع هداه، وعدم انتظار هداية من حولنا لكي نهتدى، يقول الله تعالى في سورة المائدة: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ ﴿١٠٥﴾﴾ [المائدة: ١٠٥]، وفي سورة يونس: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ﴿١٠٨﴾﴾ [يونس: ١٠٨].

أختاه هذه آيات بينات يأمرنا فيها الله - تعالى - باتباع دينه، وهو عنده الإسلام: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى اللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يَحِبُّونَ الْإِيمَانَ وَالصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَيَدْعُونَ إِلَى الْحَيَاةِ السَّالِحَةِ ﴿١٠٩﴾﴾ [آل عمران: ١٠٩]، والعمل بأركانه وهي: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً. والإيمان بالله: وهو يتضمن الإيمان بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

وقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم هدى للمتقين، يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿١٠٩﴾﴾ [البقرة: ١٠٩]، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿١١٠﴾﴾ [البقرة: ١١٠]، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة: ١١١]، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة: ١١٢]، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿١١٣﴾﴾ [البقرة: ١١٣]، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿١١٤﴾﴾ [البقرة: ١١٤]، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿١١٥﴾﴾ [البقرة: ١١٥]، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿١١٦﴾﴾ [البقرة: ١١٦]، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿١١٧﴾﴾ [البقرة: ١١٧]، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿١١٨﴾﴾ [البقرة: ١١٨]، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿١١٩﴾﴾ [البقرة: ١١٩]، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة: ١٢٠].

وقد حددت هذه الآيات من هم الذين على هدى من ربهم، ولهذا الهداية أصول منها: أنها من عند الله، وأنها خاصة بكل مؤمن، وأنها مرتبطة بالقلب والجوارح، وأنها لا تقبل التسوية، وأنها لا ترتبط بهداية الغير، وأنها قائمة على أصول دينية لا بد من تحقيقها.

فلتذكر كل أخت على طريق الإسلام والإيمان:

- ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ﴿٩٧﴾﴾ [الإسراء: ٩٧].

- ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ﴿٣٧﴾﴾ [الزمر: ٣٧].



- ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

- ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦].

- ﴿قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ [يونس: ١٠٨].

- ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسِكُمْ لَا تَصُرُّكُمْ مِّنْ ضَلَالٍ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥].

- ﴿فَرَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ (٨٤) [الإسراء: ٨٤].

فإذا كانت الهداية من الله تعالى، فيجب أن تتوجهي إليه بالدعاء؛ ليهديك إياها، ولتطمئني عند الإحساس بالهداية أنه لو اجتمعت الإنس والجن على أن يضروك بشيء، لم يكتبه الله عليك، لا يضروك بشيء، وأن من علامات الهداية حسن الإسلام، والدخول فيه بالقلب والعقل والجوارح، ولأننا لا نستطيع هداية أنفسنا، فإننا لا نستطيع هداية الغير، وإنما علينا الدعاء لهم بالهداية والصلاح، وأن المستفيد الأول والأخير من الهداية هو صاحبها، وأن تسيرى في طريق الهداية دون النظر للوراء، فاطرحي كل العقبات وراء ظهرك، وإلى الأمام؛ فأنت في طريق الهداية، وليس لك محطة تقفين فيها إلا الجنة إن شاء الله، فعليك بالدعاء وتقوية الإيمان: ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨].

العزم وعدم النسيان:

قال تعالى في سورة طه: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ نُجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ (١١٥) [طه: ١١٥].

والعزم: هو الثبات والصبر والجد فيما يريد الإنسان.

وقد قيل على ابن آدم: إنسان؛ لأنه نسي، والنسيان دليل على نقص في وظائف العقل، فلا يستطيع الإنسان أن يتذكر كل ما يحيط به من أحداث، أو كل ما اكتسبه من خبرات وعلوم؛ فجزء من هذه الأحداث والخبرات يتم نسيانها جزئياً أو كلياً، وكلما تقدم بالإنسان العمر زادت صفة النسيان عنده، حتى لا يعلم بعد علم شيئاً. عن ابن عباس قال، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ عَنِ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنَّسْيَانَ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ»^(١).

فليس كل من نسي ميعاداً معك يكون منافقاً، وليس كل من نسي إكمال عمل أمر به مقصراً.. يا ليتنا جميعاً نلتمس لبعضنا الأعذار؛ فلها من ثمرات البر الكثير، منها الصبح

(١) ابن ماجه في الطلاق (٢٠٤٥)، وصححه الشيخ الألباني.



الجميل، فنعفو عن زلات البعض، ولا نتصيد الأخطاء لبعضنا؛ فهي محقة للحب والألفة بيننا. فإذا اتبنا سنة الرسول ﷺ في التماس الأعذار، والتي تتعدى الخمسين عذراً، فسوف لا نجد غير أنفسنا المقصرين، فلا نلومن إلا أنفسنا.

وعندما تضع الأم ذلك النسيان في الاعتبار، فعسى ألا تكلف أبناءها ما لا يطيقون، ثم تحاسبهم عليه، وعندما تضع الأخوات ذلك النسيان في الاعتبار، سيدوم الود والألفة والمحبة بينهن، ولا يجعلن الشيطان يدخل بينهن ويسعد بالفرقة والخصام.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ كُنَّا مُسِيئِينَ أَوْ نَسِينَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. أما إذا كان النسيان متعمداً من النفس، فإن الجزاء سيكون من جنس العمل. يقول الله تعالى في سورة طه: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَد كُنْتُ بَصِيرًا﴾ (١٢٥) قال كذلك أنتكء آيتنآ فنسيتها وكذلك اليوم نسئ ﴿١٢٦﴾ [طه].

فالإصرار على المعصية وتناسي آيات الله وأوامره ونواهيه، لا يدخل ضمن من وضعه الله عن المسلمين من النسيان، فهذا نسيان تعمد، نسيان بإدراك عقل، نسيان مقصود لجهل الإنسان بعواقبه.

ألا تعلم كثير من الفتيات والبنات أن الصلاة فرض والصوم فرض والزكاة فرض، والحجاب فرض، وبر الوالدين والإحسان إليهما بعد عبادة الله مباشرة، وأن الظلم حرام والكذب حرام... إلخ، ولكن تتناسى الكثيرات منهن، ويلهيهن نعيم الدنيا، أو مشاغلها، أو مشكلاتها عن طاعة الله ورسوله.

ألا تعلم كثير من المنافقات أنها تأمر بالمنكر وتنهى عن المعروف وتمنع الخير عن الناس؟! بلى إنها مدركة، ولكن نسيت الله. يقول الله تعالى في سورة التوبة: ﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧].

ألم تسمع كثير من البنات أمر الله هن بالحجاب في سورة النور؟ ألم تقرأ القرآن؟ ألم تسمع نصيحة أخت في الله؟، ألم تسمع وترى برناجماً في التلفاز يعرفها فرضية الحجاب؟ ألم تر كيف أطاعت كثير من الأخوات ربهن وأبين أن يكن من العاصيات؟ فمن أظلم من هؤلاء البنات والفتيات، يقول الله تعالى في سورة الكهف: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاہُ﴾ [الكهف: ٥٧].



ألم تعلم البنات اللاتي يأخذن من الغش في الامتحانات وسيلة للنجاح، أن من غشنا ليس منا؟

ألم تبيك كثير من الفتيات اللاتي وقعن في الخطيئة أو المعصية، وكان قولها: إنها لا تدرى كيف فعلت ذلك؟ نسين أنفسهن. يقول الله تعالى في سورة الحشر: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: ١١].

أختاه لا تلهك أمور الدنيا ومتاعها؛ فالعمر يفنى بلا إندار، فلتتخذي سبيل الله طريقاً لك في الدنيا، ولتسعدى بهذا الطريق .. إنه نور لك في دنياك وأخراك .. إنه الطريق المستقيم، فلا ترضى بغيره بديلاً، ولتسرعى الخطى؛ لعلك تبلغى العلا، ولتجعلى موت الشباب والأصحاء والأقوياء لك آية، فلا تنتظري للغد؛ لعله يكون يوم الحساب.

ولنلقى نظرة على من سمعت وأطاعت والتزمت، وأخذت حظاً من الثقافة في دينها، وأنعم الله عليها بإلقاء الدروس أو العظات أو المحاضرات لغيرها؛ فإن لها مع النسيان نصيباً يجب أن تتنبه له، ولتذكر قول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

فالبنات اللاتي أنعم الله عليهن بنعم لم ينعم بها الله على غيرهن أولى بشكر هذه النعمة والعمل بها، فالبعض يأخذن من آيات الله ليفتحن أبواباً من النقد اللاذع والهجوم وسوء الكلام على غيرهن؛ لا اعتقادهن أن هذا الأسلوب ربما يكون رادعاً لهن عن المعصية، وإذا بهن يصبحن مصدرًا للنفور وإحجام الناس عنهن، وتأخذ البنات في تصيد الأخطاء للواعظات؛ حتى يرين أنهن أكثر خطأً منهن أو أكثر معصية، فيخسرن أنفسهن، ويخسرن غيرهن - ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد تزيد بعض الأخوات في النصائح، وتتميز في دعوتها، وتصل إلى درجة الإقناع، ولكن لا تتقن الإخلاص مع الله ونفسها، ويكثر بينها وبين من حولها من الأقارب من شجار أو خصامة، ويكفيها ما تجده من تجمع بعض الأخوات حولها لسماع ما تلقيه عليهن من الحكمة، فلتتذكر حديث الرسول ﷺ أنه قال: «إن أناساً من أهل الجنة يطلعون على أناس من أهل النار، فيقولون: بم دخلتم النار؟ فوالله ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمنا منكم، فيقولون: إنا كنا نقول ولا نفعل» [رواه ابن عساکر في ترجمة الوليد بن عقبة].



وقد تجددين بعض الأمهات ينصحن أولادهن بالبر لآبائهم وأمهاتهم، ولكن ينظر الأولاد فيجدون أنهم لا تبر أمها ولا أقاربها، فكيف تكون النتيجة؟!

وكم من أمهات ينصحن أولادهن بعدم الكذب، وتأتيها فيرى الأبناء أن أهمهم تكذب على زوجها، أو تأمرهم بالكذب عليه في الوقت الذي تأمرهم فيه بأن يكونوا صادقين في القول!!

وكم من الأخوات طلبت ممن هم أصغر منها أن يحترموها ويقدروها، ولم تنظر إلى نفسها .. هل عطفت هي عليهم، وزرعت في قلوبهم الحب لكي يبادلوها إياه ويعطوها قدرًا مرضيًا من الاحترام؟ فلا يصح أن أطلب من غيري أن يعطيني الخير له، ولم أعط لهم رائقته. أما إذا كان النسيان من الشيطان، فللقرآن معه آيات بينات علينا الاتباه، إليها يقول الله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيءِ آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَعُدَّ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام].

فعلى الأخوات أن يتبهن أن الشيطان وراء الخطأ والنسيان، فعليه الاستجابة السريعة لأوامر الله - عز وجل. وأن يقلعن عن المعصية في وقتها، ولا ينتظرن إلى أن تكتمل حتى تبدأ الإقلاع والاستغفار، طالما جاءها ولو نور خافت. فإذا تركت الأخت نفسها في طاعة الشيطان، واعتبرت أن الأمر بسيط فإذا به يستحوذ وسيطر عليها؛ حتى يرى الباطل حقًا ويرى الحق باطلاً. ثم ينضم إلى الشيطان ويصبح من حزبه، يقول الله تعالى في سورة المجادلة: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخٰسِرُونَ﴾ [المجادلة]. فلتحاربه بذكر الله في السر والعلن، في الليل والنهار، في الراحة والانشغال، ولتتذكر أمر الله تعالى بالذكر في سورة الكهف: ﴿وَأذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤]، ولتتذكر أن مما ينسينا الذكر الشيطان، في سورة يوسف: ﴿فَأَنسَنَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ [يوسف: ٤٢]. اللهم إنا نعوذ بك من الشيطان أن يضلنا، أو ينسينا ذكرك أو شكرك، أو حسن عبادتك. اللهم لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك.